علم ذاته فقد حصلت عنده ذاته وقد كان حصل عنده ان
فحصلت الذات وهذه الذات لا تحصل الا عند ذاتها ونفس حصولها
هو الذات فاذا هو الذات بعينها وكذلك جميع الذوات المفارقة
للمادة العارفة بتلك الذات الحقة التي كان يراها اولا كثيرة وصارت عنده
بهذا النظر شيئا واحدا وكادت هذه الشبهة ترسخ في نفسه لولا ان
تداركه الله برحمته وتلافاه بهدايته فعلم ان هذه الشبهة انما ثارت
عنده من بقايا ظلمة الاجسام وكدورة المحسوسات فان الكثير والقليل
والواحد والوحدة والجمع والاجتماع والافتراق كلها من صفات
الاجسام وتلك الذوات المفارقة العارفة بذات الحق عز وجل لبراءتها
عن المادة لا يجب ان يقال انها كثيرة ولا واحدة لان الكثرة انما هي مغايرة
الذوات بعضها لبعض والوحدة ايضا لا تكون الا بالاتصال ولا يفهم
شي من ذلك الا بالمعاني المركبة الملتبسة بالمادة غير ان العبارة في
هذا الموضع تضيق جدا لانك ان عبرت عن تلك الذوات المفارقة
بصيغة الجمع حسب لفظنا اوهم ذلك معنى الكثرة فيها وهي بريئة عن الكثرة وان
انت عبرت بصيغة الافراد اوهم ذلك معنى الاتحاد وهو مستحيل فيها
وكاني بمن يقف على هذا الموضع من الخفافيش الذين تظلم الشمس في اعينهم يتحرك
في سلسلة جنونه ويقول لقد افرطت في تدقيقك حتى انك انخلعت عن غريزة
العقلاء واطرحت حكم المعقول فان من احكام العقل ان الشي اما واحد
واما كثير فليتئد في غلوائه وليكف من غرب لسانه وليتهم نفسه وليعتبر في العالم

٧٥

ومن الذي هو بين اطباقه محبوس بنحو ما اعتبره حي بن يقظان
حين كان ينظر فيه نظرا ما فيراه كثيرة لا تنحصر ولا تدخل تحت حد ثم ينظر
فيه بنظر اخر فيراه واحدا وبقي في ذلك مترددا ولم يمكنه ان يقطع
عليه باحد الوصفين دون الاخر هذا والعالم المحسوس منشأ الجمع والا فراد
وفيه تفهم حقيقتها وفيه الاتصال والانفصال والتجزي والمغايرة والا تفاق
والاختلاف فما ظنه بالعالم الالهي الذي لا يقال فيه كل ولا بعض ولا
ينطق في امره بلفظ من الالفاظ المسموعة الا ويوهم فيه شي على خلاف
الحقيقة فلا يعرفه الا من شاهده ولا تثبت حقيقته الا عند من حصل فيه
واما قوله حتى انخلعت على غريزة العقلاء واطرحت حكم المعقول فنحن نسلم
له ذلك ونتركه مع عقله وعقلائه فان العقل الذي يعنيه هو وعقلاؤه انما
هو القوة الناطقة التي تتصفح اشخاص الموجودات المحسوسة وتقتنص منها
المعنى الكلي والعقلاء الذين يعنيهم هم الذين ينظرون بهذا النظر والنمط الذي
كلامنا فيه فوق هذا كله فليسد عنه سمعه من لا يعرف سوى المحسوسات وكلياتها
وليرجع الى فريقه الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم
غافلون فان كنت ممن يقنع بهذا النوع من التلويح والاشارة الى ما في العالم
الالهي ولا تحمل الالفاظ من المعاني على ما جرت العادة بتحميلها اياه فنحن نزيدك
مما شاهده حي بن يقظان في مقام الصدق الذي تقدم ذكره وذلك انه
بعد الاستغراق المحض والفناء التام وحقيقة الوصول شاهد للفلك الاعلى
ذاتا لا جسم وراءه ذاتا بريئا عن المادة ليست هي ذات الموجود الواحد الحق

Copyright © King Saud University